إستراتيجية البحث العلمي في تطوير اللغة والأدب العربي

Scientific research strategy in the development of Arabic language and literature

الباحثة بن عيسى فاطمة
fben7811@gmail.com
تخصص دراسات لغوية
المشرف الدكتور بومسحة العربي
المركز الجامعي أحمد ابن يحي الونشريسي تيسمسيلت (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2019/12/23 تاريخ القبول:2020/02/01 تاريخ النشر: 2020/05/02

الملخص

تروم هذه الورقة البحثية التنقيب في الدور الكبير الذي يقدمه البحث العلمي الأكاديمي في الرقي بالعلوم الإنسانية بمختلف فروعها، وخصصنا هذا البحث لفرع من هذه الفروع وهو اللغة العربية. فمن المعلوم أن اكتساب المعارف في هذا المجال وخاصة في الجامعة يقوم أساسا على إنجاز البحوث العلمية والتي يتكون من خلالها طلبة العلم تكوينا معمقا في تخصصاتهم وبالتالي يتخرج الطلاب على هذا الأساس أكفاء لاستغلالهم للنهوض بالمجتمع في المستقبل.

وحاولنا البحث أيضا في المناهج العلمية التي يتبناها الباحثون في استقصاء المعرفة وتوظيفها وتحليلها، كون البحث العلمي الأكاديمي يقوم على جملة من الشروط لاكتساب المعرفة ونشرها وهي الدقة والشمولية والوضوح والمباشرة والموضوعية، فهذه الشروط تحتاج من الباحث الاعتماد على منهج علمي صحيح ودقيق للوصول إلى النتائج الصحيحة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ إستراتيجية؛ البحث العلمي؛ مناهج البحث.

الملخص باللغة الأجنبية :

This research paper intends to explore the great role that academic scientific research offers in the advancement of human sciences with its various branches, and we have devoted this research to one of these branches, which is the Arabic language, it is known that the acquisition of knowledge in this field, especially in the university is mainly based on the completion of scientific research, which consists Though which students of science have an in-depth training in their specializations, and thus students graduate on this basis, competent to use them to advance society in the future.

We also tried to research the scientific approaches adopted by researchers in seeking knowledge, employing and analyzing it, because academic scientific research is based on a set of conditions for acquiring and disseminating knwledge, namely accuracy, comprehensiveness, clarity, directness and objectivity, these conditions require the researcher to rely on a correct and accurate scientific method to reach the correct results.

الكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية: Arabic languege ; strategy ; scientific research ; rasearch methods.

مقـــدمــــة:

يعدّ البحث العلمي لبنة أساسية تسهم في تحقيق المعرفة وبالتالي تطور المجتمع والذي خصّ جميع الميادين العلمية ومن بين هذه الميادين العلمية التي خصها البحث العلمي عناية بالغة ميدان العلوم الإنسانية التي كان تطبيق معايير البحث

العلمي عليها يختلف عن باقي الميادين كونها تتميز بخصائص تتطلب طرق بحث مخصوصة تتلاءم وطبيعة فروع العلوم الإنسانية.

والأدب العربي من بين أهم فروع العلوم الإنسانية والبحث فيه يختلف عن غيره من العلوم كونه علم يتميز بسمات خاصة تجعل الخوض في غماره بطريقة علمية موضوعية ليس هينا فتطبيق المناهج العلمية مثلا على دراسة أدبية يخضع لمقاييس محدّدة تناسب المادة الأدبية المدروسة بمعنى أنه ليست كل المناهج العلمية يمكن تطبيقها على اللغة والأدب العربي.

وهو ما نحاول البحث فيه من خلال ربط البحث العلمي بالأدب العربي مبيّنين بذلك مدى إسهام البحث العلمي في تطوير الأدب العربي منطلقين من البحث العلمي في عمومه إلى البحث الأدبي بمختلف مناهجه البحثية الحديثة والتي كانت مناط اهتمامنا كونها ذات صلة وثيقة بالأدب.

وبناءً على ذلك يمكن أن نطرح عدّة إشكالات أهمها:

كيف أسهم البحث العلمي في تطوير الأدب العربي؟ وفيما تجلى هذا الإسهام؟ وكيف عالج البحث الأدبي قضايا اللغة والأدب العربي بمختلف مناهجه الأدبية؟.

أ_ البحـــث العلـــمـــي:

1- مفـهـــومـــه:

أ-لغة:

البحث كما ورد في معجم مقاييس اللغة من مادة"(بحث) الباء والحاء والثاء أصل واحد يدلّ على إثارة الشيء، قال الخليل:البحث طلبك شيئا في التراب والبحث أن تسأل عن شيء وتستخْبِرَ، تقول اسْتبحِثُ عنه وبحثُ عن فلان بحثا وأنا أبحثُ عنهُ"[1]. وعرفه الفيروز آبادي بقوله: «بحث عنه،كمنَعَ واسْتبحثَ وانبتحث، وتَبَحَّثَ: فتَّش» أي أن البحث يعنى "الطلب والتفتيش والتتبع والتحري"[2].

ب- اصطلاحا:

أما اصطلاحا فقد تعددت مفاهيم البحث العلمي حيث "توجد عمليا تعريفات عدّة للبحث العلمي تعكس منطلقات فكرية وتاريخية مختلفة فالبعض يرى أن البحث استقصاء منظم يهدف إلى اكتساب معارف جديدة وموثقة بعد الاختبار العلمي لها،بينما يرى آخرون أن البحث العلمي هو التحري والاستقصاء المنظم والدقيق الهادف للكشف عن حقائق الأشياء وعلاقاتها بعضها ببعض وذلك من أجل تطوير الواقع الممارس لها فعلا أو تعديله"[3]. ما يعني أن البحث "دراسة مبنية على تقص وتتبع لموضوع معين وفق منهج خاص لتحقيق معين: من إضافة جديد أو جمع متفرق أو ترتيب مختلط أو غير ذلك من أهداف البحث العلمي"[4]. فالغاية من البحث هي إضافة جديد في ميدان العلم والمعرفة وذلك من خلال" الفحص والتقصي المنظم لمادة أي موضوع من أجل إضافة المعلومات الناتجة إلى المعرفة الإنسانية أو المعرفة الشخصية» ويرى بعض الباحثين أن البحث عملية تقصيٍّ الحقائق ومعاينتها وتطبيقاتها بالنسبة لمشكلة معينة"[5]. ليتحدّد

أن البحث ينطلق من إشكالية محورية يبنى عليها البحث بحيث يسعى إلى حلّها بطريقة علمية موضوعية وكذا تبني منهج يتلاءم وطبيعة المجال المبحوث فيه.

وبناءً على ما سلف ذكره فإن البحث العلمي استقصاء وتحري لمشكلة معينة في مجالات الحياة المختلفة و"لعل أجمل تعريف للبحث ما ذكره «Arthur cole» من أن «البحث هو تقرير وافٍّ يقدّمه باحث عن عمل تعهّده وأتمّه على أن يشتمل التقرير كل مراحل الدراسة منذ أن كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة، مرتبة، مؤيدة بالحجج والأسانيد»[6]. فالبحث هو حوصلة عمل قام به الباحث والذي يمرّ عبر مراحل معينة يحكمها منهج خاص حتى يصل إلى نتائج صحيحة، فالهدف من البحث هو "الوصول إلى نتيجة سليمة بطريقة علمية سليمة فنجد الباحث خالي الفكر من الحكم الذي يريد أن يحققه وفي النهاية قد يقرر الرأي الذي توصل إليه سواءً وصل إلى الجواز أو المنع مثلا في القضية التي بحثها إذا كانت شرعية وقد يقرر التوقف في حال تساوى الأمرين"[7]. ذلك أن الباحث لابد أن يلتزم بالموضوعية والابتعاد عن الأحكام التقييمية الذاتية التي تنقص من قيمة البحث العلمي الذي أهم صفاته العلمية والموضوعية.

وبصفة عامة وكما "يستدل من التعريفات التي سبق الإشارة إليها أن الهدف الأساسي من البحث العلمي هو التحري عن حقيقة الأشياء ومكنوناتها وأبعادها ومساعدة الأفراد أو المؤسسات على معرفة محتوى أو مضمون الظواهر التي تمثل أهمية معينة لديهم أو لديها،ومما يساعدهم على حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأكثر إلحاحا وذلك بواسطة استخدام الأساليب العلمية والمنطقية (إظهار نقاط القوة والضعف)"[8]. فالبحث يخص جلّ الميادين مهما كانت طبيعتها ذلك أن غايته هي الوصول لحل مشكلة معينة، والبحث العلمي "بشكل شمولي يفيد في تعميم الحقائق أو المعرفة التي تم استخلاصها من المواقف أو المشاهدات النابعة من حياة المجتمعات، وهكذا يتبين لنا أن البحث العلمي يتعامل مع القضايا الحياتية كافة من خلال إتباع أساليب التقصي والتحليل ووفق قواعد علمية شاملة وعامة تساعد في تحديد المسالك وتعريفها بشكل دقيق بعد معالجة أسبابها وأبعادها وعليه فإنه يمكن تعريف البحث العلمي على أساس أنّه يتضمن جميع الإجراءات المنظمة والمصممة بدقة من أجل الحصول على أنواع المعرفة المصنفة كافة والتعامل معها بموضوعية وشمولية وتطويرها بما يتناسب مع مضمون المستجدات البيئية الكلية الحالية والممكنة واتجاهها"[9]. فالغاية من البحث العلمي إما إضافة جديد للمعرفة وإما تطوير لمعارف سابقة باستخدام أساليب علمية موضوعية تتناسب فيه أساليب البحث العلمي مع خصائص موضوع البحث.

واستنادا إلى ذلك يتأكد " أن البحث العلمي حتى يكون علميا لابد أن تكون الطريقة المتبعة فيه علمية وموضوعية ومن أول خطوة (التعرف والتحديد لما يجب بحثه) إلى آخر خطوة فيه(اكتشاف الحقائق والعلاقات بين أبعاد أو أجزاء الموضوع والتحقق من صحة ما تمّ التوصل إليه)"[10]. واختلاف الباحثين في رأيتهم للبحث العلمي يعود إلى اختلاف مشاربهم فكلّ واحد نظر إلى البحث العلمي من توجهه الخاص هذا ما أدى إلى تشعب مفاهيمه غير أن المفهوم العام للبحث العلمي هو نفسه فقط يختلف باختلاف مجال البحث وطبيعة المادة محل الدراسة فالبحث في العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية في عمومه واحد فكله استقصاء وتفتيش عن حل لمشكلة بيد أن كيفية تطبيقه مختلفة بحسب طبيعة

الدراسة كما أن تطبيق المناهج يختلف من علم لآخر في حين تبقى أسس البحث العلمي هي الرابط المشترك بين جلّ العلوم.

2- أسس البحث العلمي:

"ويقوم التفكير العلمي على مجموعة من الأسس وهي كالآتي:

1- استبعاد المعلومات غير الصحيحة، أي تطهير العقل من أي معلومات سابقة يمكن أن تؤثر على إمكانية وصوله إلى المعرفة الصحيحة.

2- الاعتماد على الملاحظة الحسية كمصدر الحقائق العلمية حيث الإدراك الحسي هو أساس المعرفة.

3- الموضوعية: والنظرة الموضوعية للظاهرة هي التي تتساوى فيها نظرة مختلف المشاهدين لها مهما اختلفت زوايا مشاهدتهم لها.

4- التجريد: وهو استنباط الخصائص أو الصفات التي تتميز بها الظواهر أو الأشياء رغبة في الوصول إلى معنى عام ينطبق على أفراد النوع الواحد.

5- التعميم: عرفنا أنّه نتيجة لاستخدام الاستقراء الناقص فإنه لا يتيسر ملاحظة جميع مفردات الظاهرة بل أن الباحث يكتفي بملاحظة بعض النماذج ثم يخرج منها بقوانين عامة تخضع لها جميع الحالات المشابهة والتي لم تدخل في نطاق الدراسة وهذا ما يقصد بالتعميم[11]. وهي أسس تدور في مجملها حول العلمية و الموضوعية بمعنى الابتعاد عن الذاتية وعدم التحيز لجهة معينة في البحث الذي لابد أن يتأسس على معلومات صحيحة تؤدي إلى نتائج سليمة منطلقا من الملاحظة الدقيقة بحيث يمكن استنباط سمات وخصائص الظاهرة محل البحث وهو ما يسمى بالتجريد هذه من أهم الأسس التي لابد من توافرها في البحث العلمي الذي يسعى إلى وضع إضافة في العلم والمعرفة كون البحث العلمي" نشاط يفيد في زيادة كمية المعرفة في الميادين العلمية بهدف أو بغير هدف محدّد والعلم تبعا لذلك ليس مجرد كتلة من الحقائق المتراكمة بل هو طريق للوصول إلى هذه الحقائق التي ستشكل المعرفة"[12]. فغاية البحث لا تكمن في الوصول إلى المعرفة فقط كيفما كانت الطريقة وإنما كيفية الوصول إلى هذه المعرفة أي الطريقة المتبعة بحيث لابد من إتباع المراحل العلمية المتعارف عليها في البحث العلمي.

3- أنواع البحث العلمي:

تعدّدت أنواع البحث العلمي وتنوعت نذكر أهمها:

أ- البحث العلمي النظري:

ويعني البحث العلمي النظري" الوصول إلى الحقيقة العامة ومعرفتها دون أن يكون هناك هدف من وراء ذلك إلى التطبيق العملي لها"[13]. بمعنى أن البحث هنا يعتمد على بيانات ومعطيات نظرية يبتعد فيها الباحث كليا عن كل ما هو عملي وتطبيقي حيث "لا يكون غرض الباحث التوصل إلى نتائج عملية أو ابتكار لمخترع جديد، ولذلك فإنه يتبع في بحثه المناهج التي تتوافق مع طبيعة التخصص الذي يبحثه وطبيعة الهدف الذي يسعى له بعيدا عن المختبرات وغيره"[14]. وهذا البحث العلمي النظري " هو المستخدم في العلوم الإنسانية النظرية كعلم التاريخ واللغات والأدب والفلسفة والدين

وغيره من العلوم الإنسانية"[15]. فسمات البحث العلمي النظري تنطبق على فروع علمية مخصوصة تندرج تحت ما يسمى بالعلوم الإنسانية بما فيها الأدب العربي أي العلوم النسبية التي لا تعتمد على التجريب ولا على المناهج العلمية التطبيقية بل تقوم على تطبيق مناهج خاصة بها تتماشى وطبيعتها المميزة.

ويتحدّد "دور البحث العلمي النظري هو البحث العلمي بمفهومه العالمي المتفق عليه وهو إضافة كل ما هو جديد إلى التراث الإنساني والبحث العلمي النظري يتناول الموضوعات في العلوم الإنسانية والعلوم الدينية واللغوية والأدبية والاجتماعية والفلسفية وغيرها مما يحقق البحث فيه فوائد نظرية واضحة"[16]. وهو بحث كغيره من البحوث العلمية له هدف يسعى إلى تحقيقه بإضافة جديد يفيد به المجال العلمي والمعرفي من خلال التنظير الذي لا يكون نظري بحت وإنما لابد فيه من جانب تطبيقي وإن اختلفت طرائقه من مجال إلى آخر فالتطبيق في العلوم التجريبية يختلف عن التطبيق في العلوم الإنسانية.

ب- البحث العلمي التطبيقي:

وهو بحث" يقصد به الوصول إلى الحقيقة والمعرفة لها مع الوصول إلى التطبيق العملي لها في المجتمع الذي أجري فيه هذا البحث"[17]. فهو بحث يعتمد على الجانب العملي التطبيقي من خلال خطوات التجربة والملاحظة حتى تكون النتائج مضبوطة ودقيقة وهذه الدقة في النتائج المنطلقة من التجريب هي ما تميز البحث العلمي التطبيقي الذي "غالبا ما يسعى صاحبه إلى ابتكار جديد أو إيجاد حل لمشكلة أو التوصل لطريقة مفيدة وعملية أو لتسخير المكتشفات والمبتكرات العلمية الحديثة لمضاعفة الإنتاج وتقليل النفقات والتكاليف مما يؤدي بالتالي إلى مضاعفة الأرباح والتقدم العلمي المنشود"[18]. وهذا الاعتماد على الجانب التطبيقي العملي لا يلغي التنظير من البحوث التطبيقية.

فكل نوع من أنواع البحث العلمي له خصائصه المميزة له والتي تحدّد الفرع العلمي الذي يطبق عليه نوع البحث العلمي "ومع ذلك فإن البحث وإن تنوّع إلى هذين النوعين: النظري والتطبيقي فإنّنا نقول بعدم الفصل بينهما بل إن كل واحد منهما لابدّ أن يصحبه الآخر في إحدى مراحله، فالبحث العلمي النظري في كثير من موضوعاته يعتمد في تقرير حقائقه واستنباط نتائجه على الوسائل التي لا يتم معرفتها إلا من خلال الميدان ولا خير في بحث لا يكون المقصود منه التطبيق العملي، ولهذا فإن البحوث الشرعية واللغوية ونحوها يقصد من ورائها التطبيق العملي للنتائج التي انتهت إليها وكذلك البحث العلمي التطبيقي فإنه لا يحقق فوائده المطلوبة ما لم يستند إلى البحث العلمي النظري"[19]. فلا يمكن الفصل بين النوعين سواءً في العلوم التطبيقية التي تعتمد التنظير كما التطبيق أو في العلوم الإنسانية التي أساسها الجانب النظري غير أن هذا لا ينفي وجود التطبيق فيها كون هذه العلوم الإنسانية تعتمد على مناهج بحثية خاصة وهو ما نلمسه في فرع مهم من الفروع الإنسانية وهو اللغة والأدب العربي ومنه جاء ما يقابل البحث العلمي وهو البحث الأدبي.

ب_ البحـــث الأدبـي:

يعدّ البحث الأدبي مجال يدرس اللغة والأدب من خلال تطبيق معايير ومناهج خاصة، و"البحث كما جاء تعريفه بالمعجم الوسيط: «بذل الجهد في موضوع ما وجمع المسائل التي تتصل به إلى غير ذلك من المعاني التي يدل عليها هذا الاصطلاح والأدب رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي» والأدبي أي المنسوب إلى الأدب، فالبحث الأدبي

عبارة عن دراسة جادة في موضوع محدّد يصل الباحث لمجموعة من النتائج المفيدة من خلاله"[20]. وقولنا البحث الأدبي لا يعني بالضرورة البحث العلمي فهناك تباين بينهما.

إذ "يختلف البحث الأدبي عن البحث العلمي لأن هذا الأخير يستند لمجموعة من القواعد أو القوانين الصارمة للوصول إلى النتائج الصائبة البعيدة عن أطر الاحتمالات ويسفر عن نتائج ملموسة بعكس المقالة التي يمكن الاعتماد فيها على الخواطر والدراسات النقدية الموجزة ويمكن إطلاق اصطلاح البحث على الرسائل أو الأطروحات الجامعية ويتوسع فيه فيطلق على دراسة شخصية أو عصر من العصور أو جنس أدبي أو قضية من القضايا أو فن من الفنون الأدبية المعروفة وينبغي الحرص على مجموعة من الأسس التي تتطلبها كتابة البحث مثل اختيار الموضوع الذي يجب أن يكون نابعا من الباحث فتشهد أحوالا متعدّدة لموضوعات تختار أو تفرض على الباحثين ولم تكن لديهم القناعة التامة بها فلا يسفر هذا الاختيار عن شيء ذي بال في حقل المناهج والبحوث الأدبية"[21]. فالبحث العلمي أساسه الجانب العلمي التطبيقي الذي يتوصل به إلى نتائج دقيقة في حين أن نتائج البحث الأدبي نتائج نسبية احتمالية تختلف من بحث لآخر لأنها دراسات تعتمد على الانطباع والذوق وهو ما نلمسه في الأدب العربي كالنقد مثلا.

1- مــناهـجـــه:

أ- لمحة تاريخية عن مناهج البحث الأدبي:

مناهج البحث الأدبي مناهج قديمة قدم اللغة والأدب، فلا شك في أن كثيرا من المناهج البحثية قد انتقلت من الإغريق إلى الكثير من بلدان أوربا وجاءت العصور الوسطى وظهرت بها ديانتان هما المسيحية والإسلام وبقي أرسطو -خلال هذه القرون- المعلم الذي لا يرقى إلى منزلته معلم آخر في مجال الفلسفة والمنطق وبدأ التفكير في إخضاع البحث للمنهج الذي هو قسم من أقسام المنطق وصارت العلوم التطبيقية محل الاهتمام من المفكرين والعلماء وظهر علم مناهج البحث وهو: طائفة من القواعد والقوانين العامة تسيطر على سير العقل وتعدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة في موضوع من الموضوعات وقد سارت عملية البحث عن منهج مطور في الدراسة البحثية من حقبة إلى أخرى ومن خلال أعلام متميزين كان الفيلسوف الفرنسي (ديكارت1596-1659) من أبرزهم والذي سار على درب سابقيه من أمثال فرنسيس بيكون أو جاليليو فرفض المنطق الأرسطي وبدأ في التمهيد لمنهج جديد"[22]. فأول ما ظهرت مناهج البحث كانت تخص العلوم التطبيقية لتنتقل فيما بعد للدراسات الأدبية.

ولقد عرفت مناهج البحث تطورا عبر العصور حيث بدأت تنتقل لمجال الأدب ف"في القرن التاسع عشر سجلت الحياة العقلية في أوربا نهضة رائعة في العلوم الطبيعية والتجريبية وأخذت مناهج هذه العلوم تفرض سلطانها على عقول الناس وتسيطر على تفكيرهم وراحت تجتذب إليها طائفة من مؤرخي الأدب أخذوا ينادون بمحاولة تطبيق هذه المناهج على الدراسات الأدبية وإخضاعها لأساليبها وقواعدها وقوانينها العلمية"[23]. إذ "أخذ الناس في أوربا يسعون إلى تطبيق المناهج البحثية في مجال العلوم على الدراسات الأدبية ومن ذلك دعوة «سانت بيف» Sainte Beuve الذي حاول الربط بين علم النبات والأدب فإذا كانت النباتات ذات فصائل متشابهة فكذلك الأدباء الذين يمكن تصنيف كل منهم تحت خصائص مشتركة أو اتجاه معين يجتمعون حوله ويلتفون فيه"[24]. لتتوالى الأصوات بعد ذلك حيث "ارتفعت

صيحة "تين Taine" (1828-1893) تدعو إلى تطبيق مناهج التاريخ الطبيعي وما يقرره علماؤه من تأثير الجنس والزمان والمكان في الكائن الحي فقد ذهب إلى أن هذه العوامل هي نفسها المؤثرة في الأدب بل في الفن عامة،كما ارتفعت صيحة "برونتير Brunetiere" (1849-1906) تدعو إلى تطبيق نظرية "دارون" المشهورة في النشوء والارتقاء أو تطور الأنواع على أساس أن الفنون الأدبية_كالكائنات الحية_ تخضع لنفس القانون في نشوئها وتطور أشكالها[25]. وهذه من أوائل الدعوات وأهمها التي ناشدت بتطوير الأدب وإخضاعه لمناهج البحث.

"على أن هذه الدعوات لم تلبث أن هدأت مع مطلع القرن العشرين حيث ارتفعت الأصوات التي نادت بضرورة أن يستمد الأدب مناهجه من العلوم الإنسانية وليس من العلوم الطبيعية وبدأت المناهج المستمدة من العلوم الإنسانية تبرز ويسلط عليها الضوء وظهرت محاولات لدراسة الأدب وبحث قضاياه من النواحي التاريخية والنفسية والاجتماعية والجمالية أو الفنية أو بالاعتماد على أكثر من منهج أو تيار من النواحي المذكورة"[26]. والأمر سيان بالنسبة للدراسات العربية حيث نلفي أن العرب قد اهتموا بدراسة مناهج البحث كاهتمامهم باللغة العربية.

فقد اهتم العرب بمنطق أرسطو أخذوا يترجمونه أولا ثم مضوا يشرحونه ويلخصونه في مصنفات كثيرة واستلهموا هذا المنطق في وضع علومهم، وكان لذلك أثره البعيد في العلوم العربية إذ عُدّ الاستقراء والملاحظة أصلين أساسيين فيها وضمت إليها العلوم الطبيعية والتجريبية وبذلك أمكن للعلوم العربية أن تنهض نهضتها في كل مجال وهي نهضة أعدت لازدهار علوم الطب والصيدلة،وحتى في البحوث الأدبية كان أهم بحث أدبي عند العرب يتضح فيه تأثير المنطق الأرسطي والتأثر بمنهجه في كتاب (البرهان في وجوه البيان) لابن وهب الذي نشر خطأ باسم (نقد النثر) ونسب إلى قدامة[27]. فالعرب كغيرهم من الأمم كانوا أشدّ حرصا على تطوير حضارتهم العربية وثقافتهم منطلقين من اللغة العربية التي تمثل عماد الثقافة العربية فاهتموا بميدان البحث العلمي والأدبي والمناهج المنبثقة عنهم.

ب- مناهج البحث الأدبي:

يقوم البحث الأدبي في العصر الحديث على العديد من المناهج التي تسعى في مجملها للبحث في خصائص اللغة والأدب ومن أهم هذه المناهج نذكر المنهج التاريخي والمنهج النفسي والمنهج الفني والمنهج التكاملي، وهي مناهج لا تبعد كثيرا عن مناهج البحوث العلمية ويمكن القول: إن المناهج المتصلة بالأدب قد تقدمت على نظيرها في العلوم التطبيقية وإن أمكن التقارب بين الباحثين كما يمكن أن يلتقي فيها اثنان أو أكثر في دراسة شخصية أو ظاهرة أدبية ومن أبرز هذه المناهج ما يأتي:

أولا: **المنهج التاريخي:**

للمنهج التاريخي الريادة في مناهج البحث الأدبي كونه من أقدم المناهج في دراسة الأدب إذ أن الصلة بينه وبين البحث الأدبي ضرورة وقوية ولا يخفى أن جزءا كبيرا من الدراسات المتخصصة تندرج تحت ما يسمى بتاريخ الأدب، ويستند الكثيرون إلى المعيار التاريخي وهم يربطون الأدب بالأحوال السياسية والاجتماعية والدينية أو يقسمونه إلى عصور تاريخية مشهورة مثل العصر الجاهلي وما تلاه إلى العصر الحديث. والملاحظ أن الذي يدرس شاعرا أو يعرض لظاهرة أدبية لا يعفي نفسه من التعرف على أحداث التاريخ المرتبطة بالشعر أو المؤثرة في الظاهرة[28]. فلدراسة الأعلام والشخصيات

الأدبية أو لدراسة علم من العلوم اللغوية لابد من المرور على تطورها الزمني من هنا كان هذا المنهج مناط اهتمام العلماء قديما من بين باقي المناهج البحثية، فهو "أول هذه المناهج وأقدمها منذ أن التفت علماؤنا إلى أهمية دراسة الأدب العربي دراسة منهجية على نحو ما يفعل المستشرقون ويقوم هذا المنهج على أساس تتبع الأدب العربي تتبعا تاريخيا في رحلته الطويلة عبر التاريخ منذ نشأته الأولى في الجزيرة العربية إلى أن انتشر في شتى أقاليم الدولة الإسلامية العريضة الممتدة امتدادها التاريخي المعروف رابطا بين حركة هذا الأدب وتطوره وبين العصور السياسية التي مرت بها الدولة العربية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث وقد جرى الباحثون في الأدب العربي على أساس هذا المنهج التاريخي على تقسيم هذا الأدب إلى خمسة عصور تاريخية وفقا للعصور السياسية"[29]. فهدف المنهج التاريخي هنا دراسة تطور الأدب عبر العصور المعروفة من العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام مرورا بالعباسي والأموي وصولا إلى العصر الحديث الذي عرف تطورا كبيرا للبحث الأدبي والعلمي.

ثانيا: **المنهج النفسي**:

وهو من المناهج الحديثة حيث أخذ يجذب إليه اهتمام الباحثين في الأدب العربي في السنوات الأخيرة بعد أن تقدمت الدراسات النفسية وتعدّدت مدارسها وأخذت تفرض نفسها على كثير من مجالات الحياة الإنسانية وليس من شك في أن هذه الدراسات النفسية للأدب العربي قد أمدته بوسائل جديدة لدراسة ووصلت بينه وبين نظريات حديثة كشفت عن جوانب كثيرة منه وقدمت للباحثين فيه منهجا على خط كبير من الطرافة والإثارة والحيوية ولكن الواقع أن هذا المنهج لا يتيسر تطبيقه بطريقة ناجحة تضمن الاطمئنان إلى نتائجه إلا إذا توافرت لدينا معلومات كافية عن الشخصية وتفسيرها وسبر أغوارها والتغلغل في أعماقها السحيقة ومما يؤسف له أن أكثر شخصيات أدبنا القديم لم يصل إلينا من أخبارها إلا القليل الذي لا يسعفنا في مجال هذا التحليل النفسي[30]. فالجانب النفسي في الأدب يلعب دورا مهما كون أن ما يختلج النفس يؤثر على نفسية الأديب وهو ما التفت الباحثين مؤخرا حيث" بدأ الاهتمام بهذا المنهج في القرن العشرين واقترنت المعرفة الحقيقية الشخصية بدراسة أحوالها النفسية ومكوناتها الباطنية والتعرف على النزعات التي تتجاذب فيها واستعان الكثيرون من الباحثين بنظرية «فرويد» freud الذي يخضع بعض الميول الإنسانية إلى ما سماه ... الكبت Refoulement ويمثل بها النزعات التي يتمكن فيها الإنسان تمشيا مع المجتمع وتقاليده وهذا التحكم لا يميت الميول، لكن لا ينبغي الإسراف في الاستعانة بهذه النظرية أو بغيرها من نظريات علم النفس عند دراسة أية شخصية أو تعليل عمل من الأعمال الأدبية؛خوفا من التحول عن فنية البحث وجماله وتمثل الذوق فيه إلى دراسات علمية مليئة بالجفاف"[31]. أي أن هذه المكبوتات في النفس تظهر من خلال الأعمال الأدبية شعرا كانت أو نثرا،وهو ما عالجه الباحثين العرب كذلك في تحليلهم لشخصيات أدبية فقد "ظهرت بحوث عربية عديد مقرونة بعلم النفس والدراسات الإنسانية ومما طبع في المكتبة العربية معنيا بهذا الجانب كتاب«من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده للأستاذ خلف الله أحمد وكتاب «التفسير النفسي للأدب؛للدكتور عز الدين إسماعيل» وكتابا العقاد عن عمر ابن الرومي وأبي نواس وغير ذلك كثير"[32]. وهي دراسات تناولت المنهج النفسي في الأدب العربي مبدية بذلك دور الجانب النفسي في الأعمال الأدبية العربية منطلقة من تحليل هذه الأعمال الأدبية لتصل إلى تبيان نفسية الكاتب أو المؤلف وكيف أثرت في عمله؟.

ثالثا: **المنهج الاجتماعي:**

المنهج الاجتماعي "هو كالمنهج النفسي من المناهج الحديثة التي أخذت تجذب إليها اهتمام الباحثين في الأدب العربي فمع ظهور علم الاجتماع وتقدم دراساته وتعدّد اتجاهاته ومدارسه ونظرياته وما تحاوله من دراسة المجتمعات البشرية المختلفة ومدى تأثيرها على أفرادها ومدى استجابتهم لهذا التأثير أو تمردهم عليه وما يكون بينهم وبين مجتمعاتهم من توافق فكري، وبقدر ما يصلح المنهج النفسي لدراسة الشخصيات الأدبية يصلح هذا المنهج الاجتماعي لدراسة الظواهر الأدبية وذلك لأن الشخصية الأدبية من الممكن أن تكون نموذجا نفسيا صالحا للدراسة ولكنها لا يمكن أن تشكل وحدها ظاهرة اجتماعية وحتى في تفاعلها الاجتماعي مع المجتمع الذي تعيش فيه فإن مظاهر هذا التفاعل تنعكس على حياتها النفسية،أما الظواهر الأدبية فإنها بحكم طبيعتها مرتبطة إلى حد بعيد بالظواهر وطبيعتها"[33]. فالمنهج الاجتماعي على عكس المنهج النفسي لا يعنى بنفسية الفرد وحدها بل يربط الأدب بالمجتمع ومدى تأثيره على العمل الأدبي من خلال الظواهر الأدبية ذلك أن الأدب مرآة المجتمع. وعليه "يوجه هذا المنهج لدراسة الظواهر الاجتماعية المتصلة بالفنون الأدبية ومدى تأثير البيئة في الأدب وتكشف أحداث التاريخ عن جوانب الصلة الوثيقة بين الأدب والمجتمع ففي الشعر اليوناني على اختلاف مراحله تبرز العلاقة بينه وبين متطلبات الجماعة سواءً أكان الشعر غنائيا أو تمثيليا أم قصصيا كما وضح ذلك من خلال شعر الجاهلي الذي كان حيويا معبرا عن القبيلة فيفتخر بها أو يتحدث عن أبطالها ويشيد بانتصاراتها ويمدح زعماءها أو يرثى من مات منهم ويهجو خصومها والمناولين لها"[34]. وهو ما يمنح هذا المنهج الاجتماعي أهمية بالغة بين مناهج البحث الأدبي.

رابعا: **المنهج الفني:**

المنهج الفني أو منهج الجمال الفني كما يصطلح عليه وهو "ذلك المنهج الذي يُعتنى فيه بالقيم الفنية المحققة للجمال عند دراسة الأدب للتعرف على الشخصيات أو بحث الظواهر المتميزة وهو أشد المناهج ذيوعا وانتشارا بين الباحثين لما فيه من عناية بالصياغة الأدبية والتأكيد على عناصرها وأسرار جمالها وتحقيق المنحة الذاتية لدى المتلقي وربما لا يقصد رواد هذا الاتجاه إلى تحقيق شيء سوى الإحساس بالجمال"[35]. فالجانب الفني الجمالي يغلب على اللغة والأدب العربي وذلك من التأثير الذي يقوم على انتقاء الكلمة والصياغة الجيدة وكذا الأسلوب الأدبي وهي عناصر تميز اللغة الأدبية.

"وقد اتجه هذا المنهج في دراسة الأدب العربي اتجاهين أساسيين اتجه –من ناحية– إلى دراسة الشخصيات الأدبية واتجه –من ناحية أخرى– إلى دراسة الظواهر الأدبية وقد أثبت هذا المنهج –من واقع الدراسات الكثيرة التي قامت على أساسه– أنه صالح لكلا الاتجاهين،ومن هنا كان أشد المناهج ذيوعا في دراسة الأدب العربي وأوسعها انتشارا بين الباحثين في هذا الأدب"[36]. بمعنى أن المنهج الفني يربط بين المنهج النفسي من خلال دراسة الشخصية الأدبية ويدرس الظاهرة الأدبية أي المنهج الاجتماعي، فهو منهج يربط بين اتجاهين، يقوم الاتجاه الأول على أساس اختيار شخصية أدبية واتخاذها موضوعا، أما الاتجاه الآخر الذي يقف عند الظواهر الأدبية فإنه يتحرك في خطوتين في الخطوة الأولى نقف عند الأعمال الأدبية المختلفة التي تشكل الظاهرة الأدبية موضوع الدراسة من أجل معرفة القيم الجمالية التي تشترك فيها والخصائص الفنية التي تميز بعضها من بعض، ثم تأتي الخطوة الثانية وهي تصنيف هذه الأعمال الأدبية في مجموعات تمثل

كل مجموعة منها مذهبا فنيا متميزا أو مدرسة فنية مستقلة"[37]. وهذا ما يجعل المنهج الفني منهج مميز يرتبط بالأدب العربي ارتباطا وثيقا.

خامسا: **المنهج التكاملي**:

هو "ذلك المنهج الذي تتم الاستفادة فيه من كل المناهج السابقة أو من معظمها حسب ما تتطلبه طبيعة البحث ذلك لأن البحوث ذات الخصائص الإنسانية تحتاج إلى الأخذ من سائر المناهج الأخرى وربما يغلب منهج على آخر ولكن لا بأس في ذلك مادامت متطلبات البحث لا تتعارض مع هذا التوجه،كما أن طبيعة الموضوع هي التي تفرض أو توجه الباحث إلى المنهج أو المناهج التي يستعين بها، فدراسة الأثر يتطلب لها النظر الفاحص الدقيق والبحث الشمولي الكامل[38]. فهو منهج يجمع بين المناهج جميعا أو أغلبها حيث أن كل منهج يدرس جانب فقط ما يجعل الدراسة ناقصة نوعا ما في حين أن اجتماع هذه المناهج في الدراسة الأدبية يعطي الدراسة طابع شامل جامع بحيث أن كل منهج يكمل الآخر.

وهذا ما يشير إليه شوقي ضيف بقوله: «وكأن البحث الأدبي أعقد من أن يخضع لمنهج معين أو قل إنه لا يمكن أن يحتويه منهج بعينه ولذلك كان من الواجب على الباحث أن يفيد من هذه المناهج والدراسات جميعا وهو ما نسميه بالمنهج التكاملي حتى تنكشف له جميع الأبعاد في الأديب وفي الآثار الأدبية ونستطيع أن نستعرضها ونرى مقدار ما يصيبه كل منها على حدّة ومدى ما يمكن أن ينتفع بكل منها في بحثه الأدبي»[39]. فطبيعة الأدب العربي الخاصة هي ما تفرض تآلف المناهج فيما بينها وهو ما يسمى بالمنهج التكاملي الذي يعدّ من أهم مناهج البحث.

وسمات اللغة والأدب العربي المميزة هي التي تفرض اختيار منهج معين من بين المناهج التي سبقت الإشارة إليهم والتي تعدّ" أهم المناهج التي عرفتها دراسة الأدب العربي في العصر الحديث وكما قلنا من قبل ليست هي كل المناهج التي عرفتها دراسة هذا الأدب في هذا العصر فوراءها مناهج أخرى كثيرة ونستطيع أن نسجل أن هذه المناهج المختلفة تهدف -في أكثرها- إلى الربط بين الأدب العربي وبين مجموعة العلوم الإنسانية وتحاول اصطناع مناهجها في البحث العلمي وأنه بمقدار ازدهار هذه العلوم وتقدمها،وتطور أساليبها ومناهجها، تتعدّد مناهج البحث في الأدب وتختلف وتتنوع والمسألة كلها تتوقف على طبيعة الموضوع من ناحية وعلى استعداد الباحث العلمي من ناحية أخرى وموضوع مناهج البحث- كما أسلفنا القول-ليس موضوعا جامدا متحجرا ولكنه موضوع متطور متجدّد دائما"[40]. فاللغة دائمة التطور والتغير بفعل طبيعة الإنسان ما يستدعي تكييف مناهج بحث خاصة تناسب التطور الحاصل للغة وهذا التطور الدائم للغة العربية هو ما يربط البحث العلمي بالأدب العربي.

خـاتــــمـــــة:

وفي ختام بحثنا هذا نصل إلى جملة من النتائج نجملها في ما يلي:

- أنّ البحث العلمي نشاط ذا أهمية بالغة في تطوير الفرد ومن ثم المجتمع.
- يسعى البحث العلمي إلى الوصول إلى الحقيقة واكتشاف معارف جديدة.

– البحث العلمي يعنى بجميع الميادين والتخصصات بمختلف خصائصها ومميزاتها حيث يعنى بالعلوم التطبيقية وكذا العلوم الإنسانية، وهذا الأخير له معاييره وخصائصه التي تتطلب طرق ومناهج بحث خاصة والشأن ذاته بالنسبة لفرع منه وهو الأدب العربي.

– يساهم البحث العلمي أيّما إسهام في تطوير الأدب العربي من خلال البحث العلمي و البحث الأدبي ومناهجه.

– تتمثل أهم مناهج البحث الأدبي في المنهج التاريخي والمنهج النفسي ويقابله المنهج الاجتماعي ثم المنهج الفني الجمالي لتجتمع هذه المناهج في المنهج التكاملي وهذه المناهج تمثل أهم المناهج التي أسهمت في تبيان خصائص اللغة والأدب العربي.

---

[1] – مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج1/ص204.

[2] – المحيط، الفيروز آبادي، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص164.

[3] – منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات،محمد عبيدات وآخرون، دار وائل للنشر، عمان، ط2، 1999، ص04.

[4] – البحث العلمي حقيقته ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز بن عبد الرحمان بن علي الربيعة، الملك فهد، الرياض، ط2، 2000، ص23.

[5] – المرجع نفسه، ص24.

[6] – أصول منهج البحث العلمي وقواعد تحقيق المخطوطات، عبد الله محمد الشامي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2012، ص07.

[7] – المرجع نفسه، ص07.

[8] – منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، محمد عبيدات وآخرون، ص 05.

[9] – المرجع نفسه، ص05.

[10] – المرجع نفسه، ص04.

[11] – ينظر: كيفية كتابة الأبحاث والإعداد للمحاضرات، محي محمد مسعد، المكتب العربي الحديث، ط2، 2000، ص19.

[12] – القرآن الكريم مناهج تحليل الخطاب، عبد الرزاق هرماس، بني ملال،المغرب، د ط، د ت، ص19.

[13] – البحث العلمي حقيقته ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز بن عبد الرحمان بن علي الربيعة، ص29.

[14] –كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة ...خطوة، عبد الله الكمالي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2001، ص 25.

[15] – المرجع نفسه، ص 25.

[16] – البحث العلمي حقيقته ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز بن عبد الرحمان بن علي الربيعة، ص29.

[17] – المرجع نفسه، ص29.

[18] –كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة ...خطوة، عبد الله الكمالي، ص 26.

[19] – البحث العلمي حقيقته ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز بن عبد الرحمان بن علي الربيعة، ص30.

[20] – مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية، السيد محمد ديب، ص12.

[21] – المرجع نفسه، ص12.

[22] – المرجع نفسه، ص16.

[23] – مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، ص35.

[24] – كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة ... خطوة، عبد الله الكمالي، ص17.

[25] – ينظر: مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، ص36.

[26] –كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة ... خطوة، عبد الله الكمالي، ص17.

[27] – البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية،رجاء وحيد دويدري، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص132.

[28]– ينظر:كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة ... خطوة، عبد الله الكمالي، ص18.
[29]– مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، ص39.
[30]– ينظر: المرجع نفسه، ص49.
[31]– مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية، السيد محمد ديب، ص19.
[32]– المرجع نفسه، ص20.
[33]– مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، ص56.
[34]–كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة ... خطوة، عبد الله الكمالي، ص20.
[35]– مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية، السيد محمد ديب، ص 21.
[36]– مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، ص56.
[37]– المرجع نفسه، ص59.
[38]– مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية، السيد محمد ديب، ص21.
[39]– البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1972، ص39.
[40]– مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، ص62.